﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾

[يوسف: 104]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الانتقالُ من بيانِ حالِ كفرِ النّاسِ إلى دفعِ توهُّمِ سببِ ذلك

بعد أنْ ذكرَ في الآية السّابقةِ زُهدَ النّاسِ بقضية الإيمانِ؛ إذ تجدُ أنّ أكثرَ النّاس لا يُؤمِنون، ولا يَهتمّون أو يحرصونَ على أن يكونوا منَ المؤمِنين، ورسولُ الله ﷺ هو أشدُّ حِرصًا على دعوةِ النّاسِ وإيمانهم؛ ناسبَ أن يذكُرَ في هذه الآيةِ أنَّ نأيَهم عنِ الإيمانِ ليس بسببِ مُطالبتِهم بأجرٍ على ذلك، فالمناسبةُ هي الانتقالُ من وصْفِ حالِ أكثرِ النّاس بعدمِ الإيمانِ إلى دفْعِ توهُّمِ أنَّ الامتناعَ عنِ الإيمانِ هو بسببِ المُطالَبةِ بالأجر.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾: جَذرُ الكلمة هو (سأل)؛ والسُّؤلُ هو ما يَسألُهُ الإنسانُ، وسَألَهُ الشّيءَ، وسألَهُ عنِ الشّيءِ سُؤالًا ومَسألةً[1]، والسُّؤالُ: استدعاءُ مَعرفةٍ، أو ما يُؤدّي إلى المَعرفةِ، واستدعاءُ مالٍ، أو ما يُؤدّي إلى المال، وإذا كان السّؤالُ لاستدعاءِ مالٍ فإنّه يَتعدَّى بنفسِه أو بمِن، نحوَ قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾ [الأحزاب: 53]، وقوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ [الممتحنة: 10]، وقوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ [النّساء: 32]. ويُعبَّرُ عنِ الفقيرِ إذا كان مُستَدعيًا لِشيءٍ بالسّائلِ، نحو قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠﴾ [الضّحى: 10]، وقوله: ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ [الذّاريات: 19][2]، ومعنى السّؤالِ في الآيةِ طلبُ المالِ بدلَ الإبلاغِ والإخبارِ.

(1) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (سأل).
(2) الرّاغب، المفردات: (سأل).

2) ﴿أَجۡرٍۚ﴾: جَذرُ الكلمةِ هو (أجر)؛ والأجرُ والأُجرَةُ: ما يعودُ من ثَوابِ العملِ دُنيويًّا كان أو أُخرويًّا، نحو قولِه تعالى: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [يونس: 72]، وقولِه تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ [العنكبوت: 27]. والأُجرةُ في الثَّوابِ الدُّنيَويِّ، وجمعُ الأجرِ أُجورٌ، وقولُه تعالى: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النّساء: 25] كنايةٌ عنِ المُهور، والأجرُ والأُجرَةُ يُقالُ فيما كان عن عَقدٍ، وما يجري مَجرَى العَقدِ، ولا يُقالُ إلّا في النَّفعِ دونَ الضُّرِّ، نحو قولِه تعالى: ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ [آل عمران: 199]، وقولِه تعالى: ﴿فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشّورى: 40][1]. ومعنى الأجرِ في الآية استدعاءُ مالٍ مُقابلَ ما يُقدِّمُ لهمُ الرّسولُ ويحرصُ عليه من دعوتِهم إلى الإيمان، فرسولُ اللّه ﷺ لا يسألُ أحدًا أجرًا على دعوتِه، وهو الأنموذجُ الأسمى للدّعاة وللأمّةِ.

❁ المَعْنى الإجْماليّ:

الـدّعـوةُ إلى الإيمانِ لا تُشابِهُ الدَّعوةَ في طلبِ الأثمانِ

تُخاطِبُ الآيةُ رسولَ اللّه ﷺ: "وما تَسألُ يا محمّدُ، هؤلاء الّذين يُنكِرونَ نبوّتَك، ويَمتنعونَ من تَصديقِكَ والإقرارِ بما جئتَهم به من عند ربِّكَ، على ما تَدْعوهم إليه من إخلاصِ العبادةِ لربِّكَ، وهجْرِ عبادةِ الأوثانِ وطاعةِ الرَّحمنِ"[2]. والآيةُ تَنفي عن رسولِ اللّه ﷺ أن يسألَ النّاسَ أجرًا؛ كما يفعلُ القُصّاصُ وناقلو الأخبار[3]، لكنّهُم تَحجَّجوا بقولِهم: إنّما تريدُ بدعائِكَ إيّانا إلى اتّباعك لِننزلَ لك عن أموالنا إذا سألتَنا ذلك؛ وإذ كنتَ لا تسألُهم ذلك؛ فقد كان حقًّا عليهم أن يعلموا أنَّك إنَّما تَدعوهُم إلى ما تَدعوهُم إليه؛ اتّباعًا منكَ لأمرِ ربِّكَ، ونصيحةً منكَ لَهم[4].

(1) الرّاغب، المفردات: (أجر).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 16/284.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/479.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 16/284.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيّ:

معنى الواو:

الواوُ في قولِه: ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ﴾ هي واوُ العطفِ، فقد عُطفتِ الآيةُ على قولِه: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ [يوسف: 103]؛ والجُملتان خَبَريّتان مُتغايِرتان، فالأولى تناولَت حالَ أكثرِ النّاسِ في عدمِ حرصِهم، والثّانية تناولَت حالَ الرّسولِ في حرصِه دونَ سؤالِ الأجرِ، فتكامَلَ المعنى بالوصل.

تَيْئيسُ الحريصِ مِن إيمانِ الأكْثرِ راحةَ بالٍ وهُدوءَ حالٍ

وفائدةُ العطفِ التَّيئيسُ من إيمان أكثرِهم؛ أي: لا يسوءُكَ عدمُ إيمانِهم، فلستَ تَبتغي إيمانًا مَرهونًا بالنّفع المادّيِّ والمالِ المُكتسَبِ؛ ولكنّك ترجو لهم الإيمانَ لفائدتِهم وإنقاذِهم ممّا هُم فيه منَ الضّلال، قال تعالى: ﴿قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ﴾ [الحُجُرات: 17][1].

نُكتةُ استعمالِ (ما) في النّفي وفائدتُه:

كـلُّ مـا يُـتـوقَّـعُ من معنى الأجرِ مَنْفيٌّ عـن سيِّد البشرِ

استعملَ النَّظمُ الكريمُ (ما) النّافيةَ في قولِه تعالى: ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ﴾ لِتنفيَ عن رسولِ الله ﷺ أن يَسألَ النّاسَ أجرًا على دعوتِه، وفائدةُ النّفي: لفتُ أنظارِ النّاسِ إلى عظيمِ ما يأتي به الرّسلُ جميعًا؛ ألا وهي قضيّةُ الإيمانِ الّتي يتفرَّدُ الرّسولُ بإبلاغِها إلى قومِه، ونكتةُ اختيارِ النَّفي بهذه الأداةِ هو إشرابُها معنَى العمومِ؛ أي: لا تسألُهم أيَّ نوعٍ من أنواعِ الأجرِ على تبليغِكَ إيّاهُم دعوةَ اللّه تعالى.

دَلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ:

نـفـيُ الـسُّـؤالِ مُـطـلَـقٌ غـيرُ مُحدَّدٍ في الحالِ والاستقبالِ

عبَّرتِ الآيةُ بصيغةِ المضارعِ: ﴿تَسْـَٔلُهُمْ﴾ للدّلالةِ على نفيِ السّؤالِ في الحالِ والاستقبالِ، وأنَّ نفيَ ذلك عنكَ هو نفيٌ مُطلَقٌ غيرُ مقيَّدٍ بزمنٍ دونَ زمن، ويُفيدُ هذا التَّجدُّدُ ما ينبغي أن يكونَ عليه الدّعاةُ في العمل بسُنّتِه ﷺ، في الدّعوة إلى اللّه للأقوام الّتي ستأتي بعد

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/62.

رسولِ الله منَ التّابعينَ وتابعيهم إلى يوم القيامةِ، وخطابُ النّبيِّ يمكنُ أن يُفهمَ خطابًا لِلمُقتدينَ بسُنّتِه منَ العلماء والدّعاةِ.

تَعيينُ مَرجِعِ الضَّمير في ﴿عَلَيۡهِ﴾:

يعودُ الضّميرُ في ﴿عَلَيۡهِ﴾ على الإيمان، أو على الدّعوةِ إلى الإيمان، أو على حرصِكَ على إيمانهم؛ لأنَّه سبقَها قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف: 103]، فأنت لا تسألُهُم على إيمانهم أجرًا[1]، والإيمانُ إنْ قيسَ بمقاييسِ الضَّروراتِ الّتي يحتاجُ إليها الإنسانُ في الحياة فإنّه أعظمُ ما يستحقُّ أن يُنفَقَ على تحصيلِه المالُ، ولكنْ هيهاتَ هيهاتَ، فلا يُعْطيه اللهُ إلّا للّذين يَستحقّونَهُ، ولو استحقَّهُ هؤلاءِ لنالوه ولآمَنوا.

الإيمانُ لا ينالُهُ إلّا مَن يَستحقُّه، ولا يَرتَضيهِ إلّا مَن يُحقِّقُه

فائدةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ:

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ ﴿عَلَيۡهِ﴾ على قولِه تعالى: ﴿مِنۡ أَجۡرٍۚ﴾، فلم يقُلْ: (وما تسألُهم من أجرٍ عليه)؛ لإفادةِ تخصيصِ الإيمانِ بالسُّؤال، ومضمونِ الرّسالةِ كونُهما هدايةً من عند الله؛ فلا يَسألُ الرّسولُ النّاسَ على دعوتِهم للإيمان أجرًا.

ما كان لنبيٍّ أن يسألَ قومَه أجرًا

معنَى حرفِ ﴿مِنۡ﴾:

معنى حرفِ ﴿مِنۡ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ﴾؛ توكيدُ النّفي أي: من ثوابٍ وجزاءٍ منهم؛ بل إنّما ثوابُك وأجرُ عملِك على الله[2]، ودلّ التّوكيدُ على نفْيِ أخذِ الأجرِ منهُم، مهما كان ذلكَ الأجرُ قليلًا، وهذه سنّةُ الأنبياء والمُرسَلين ﷺ جميعًا.

توكيدُ نفْيِ الأجرِ تأصيلُ الامْتِناعِ عنه

فائدةُ تَنكيرِ ﴿أَجۡرٍۚ﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿أَجۡرٍۚ﴾؛ لإفادة العمومِ والشُّمولِ، فيشمَلُ الأجرُ كلَّ أجرٍ يخطرُ في الأذهان، سواءٌ أكان عظيمًا كثيرًا أم قليلًا حقيرًا،

كلُّ أجرٍ يخطرُ على الأذهانِ مَنفيٌّ عنِ القَبولِ عند أهلِ الإيمانِ

(1) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 2/212.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 16/284.

وما بينَهما؛ فإنَّ الأجرَ مهما كان عظيمًا وكثيرًا فإنَّك لا تسألهُموه، فكيف إذا كان قليلًا وحقيرًا؟! وقد أفاد التّنكيرُ معنًى آخرَ يُقابلُ المعنى الأوّلَ؛ وهو تحقيرُ الأجرِ وتقليلُهُ أمام قضيّة الإيمانِ، فمهما بلغَ الأجرُ منَ العظمةِ والكثرةِ فإنَّه يبقَى حقيرًا ضئيلًا لا قيمةَ له في نظر أهلِ الإيمانِ، فالعمومُ والشُّمولُ باعتبارِ نفْيِه، والقلّةُ والحقارةُ باعتبار ما يُقابلُه منَ الثَّواب الأُخرويِّ.

المَوقعُ البيانيُّ لقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾:

الـخـيرُ الـعـامُّ لا يُطلَبُ عليه الأجرُ الخاصُّ

نُزِّلَ قولُه تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ مَنزلَةَ التَّعليلِ لجملة ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾[1]. فالإيمانُ لا يكونُ لِمن يُعطي الأجرَ المادّيَّ عليه؛ بل هو مَكرُمةٌ منَ اللّه وفضلٌ من عنده للعالَمينَ جميعًا إنسِهم وجنِّهم، فمَن شاءَ آمنَ، ومَن شاءَ كفرَ. فيكون معنى قولِه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾؛ "أي: هو تذكرةٌ لهم في دلائل التّوحيدِ والعدلِ والنّبوَّةِ والمَعادِ والقَصَصِ والتَّكاليفِ والعباداتِ، ومعناه: أنّ هذا القرآنَ يشتملُ على هذه المنافعِ العظيمةِ، ثُمّ لا تَطلُبُ منهم مالًا ولا جُعْلًا، فلو كانوا عقلاءَ لَقبلوا، ولم يتمرَّدوا"[2]. فيكونُ سببُ فصْلِ هذه الجملةِ التّعليليّةِ عن سابقتِها كمالَ الاتّصال، ويمكنُ أن يكونَ سببُ فصْلِها شِبْهَ كمالِ الاتّصال المعبّرَ عنه بالاستئناف البيانيّ إجابةً عن سؤالٍ مقدّرٍ: لماذا لا تأخذُ عليه أجرًا؟

غرضُ القَصْرِ ونوعُه:

الـقـرآنُ ذِكـرٌ للعالَمين لا أجرٌ للدّاعين

معنَى قولِه تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: ما القرآنُ والوحيُ[3] إلّا ذكرٌ للعالَمين، فهو قصرُ موصوفٍ على صفة، والقصرُ إضافيٌّ للمبالغة؛ إذ إنّ لهذا القرآنِ صفاتٍ أخرى غيرَ أنّها ذكرٌ،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/62.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/178.
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/271.

ووقعَ القصرُ بالاستثناء بعد النّفي؛ أي: ما هو إلّا ذكرٌ لا لتحصيل أجرٍ مُبَلِّغِه[1]، فيكونُ نوعُ القصرِ قصرَ قلبٍ؛ لمُعتقَدِ المُشركين الظّانّين أنَّ القرآنَ سبيلُ الأجرِ المادّيِّ، فقلبَ اعتقادَهُم هذا، وأثبتَ أنَّه ذكرٌ للعالَمين.

نُكتةُ تنكيرِ ﴿ذِكْرٌ﴾:

القرآنُ عظيمٌ في القلوبِ جليلٌ في الخطوبِ

نُكِّر لفظُ ﴿ذِكْرٌ﴾ للدّلالة على التَّعظيم؛ وذلك لتفرُّدِه وارتقائِه إلى ماهيةٍ لا تُعلَمُ عَظائمُها، فأثرُ القرآن في قلوب المُؤمنين به عظيمٌ؛ إذ لا تُعرَفُ لذلك حدودٌ، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾ [ص: 87 - 88]؛ فلا يُعلَمُ نبؤُهُ إلى يوم القيامةِ، حينَها يُعرَفُ شأنُ هذا الذّكر، وعظيمُ أثرِهِ في المؤمنين به، الذّاكرينَ له.

بلاغةُ اختيارِ وصْفِ الذِّكرِ دونَ بقيّةِ أوصافِ القرآنِ:

الـذّكـرُ شـرفٌ مَـرومٌ، وحُضورٌ في القلبِ يُذهِبُ ضيقَ المَهمومِ

(الذِّكْرُ): تارةً يُقالُ ويُرادُ به هيئةٌ للنّفس؛ بها يُمكِنُ للإنسان أن يَحفَظَ ما يَقتَنيهِ منَ المَعرفة، وهو كالحِفظِ، إلّا أنّ الحِفظَ يُقالُ اعتبارًا بإحرازِه، والذِّكرُ يُقالُ اعتبارًا باستحضارِهِ، وهو ذِكرٌ بالقلب، وذِكرٌ باللّسان[2]. أمّا الذّكرُ في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾؛ فهو ما تدُلُّ عليه التَّذكرةُ من شُمولِ أمورِ الدّين كلِّه كـ "التّوحيدِ، والعَدلِ، والنُّبوَّةِ، والمَعادِ، والقَصَصِ، والتّكاليفِ، والعِباداتِ. ومعناهُ أنّ هذا القرآنَ يشتمِلُ على هذه المَنافعِ العظيمةِ"[3]. والذّكرُ هو القرآنُ الكريمُ الّذي له أثرٌ عظيمٌ مُعجِزٌ في النّفوس والقلوب، فما يُسمَّى بالإعجاز الرّوحيِّ للقرآن الكريم؛ هو ذلكُمُ التّأثيرُ العظيمُ للقرآن الكريم في النّفوس؛ إذ لا يُعرَفُ كتابٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/62.
(2) الرّاغب، المفردات: (ذكر).
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/178.

في الدّنيا كلِّها له منَ الأثر في تاليهِ ومُستمِعِه، كما للقرآن الكريم، بل إنّه قد تَرَكَ أثرَهُ في الّذين لا يُدرِكون معانيه، ولعلّ ذلك تفسيرُ قولِه تعالى: ﴿ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، ولعلّ أوّلَ مَن نبّهَ على هذا الوجهِ في القرآن الكريم الإمامُ الخطّابيُّ يقول: "قلتُ في إعجاز القرآنِ وجهًا آخرَ ذهب عنه النّاسُ، فلا يكادُ يعرفُهُ إلّا الشّاذُّ مِن آحادِهم، ذلك صنيعُهُ بالقلوب وتأثيرُهُ في النُّفوس"[1].

بلاغةُ التّعبيرِ بلفْظِ ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾:

تعـدُّدُ النِّكاتِ البيـانيّـةِ بين الحقيقةِ والمجازِ المُرسَلِ والتَّهكُّمِ

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظِ ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ دون (النّاس) في قوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على كثرة الأنواعِ الّتي تنتفعُ منَ الذّكر انتفاعًا مُباشرًا وغيرَ مُباشرٍ، "فالعالَمُ؛ جماعةُ الحَيوانِ الكثيرة الّتي مِن شأنِها أن تَعلَمَ؛ لأنّه أخَذَ منَ العلم، وفيه معنَى التَّكثيرِ"[2]، فذكرَ (العالَمين)؛ ليدخلَ فيه عمومَ ما خَلقَ اللّه تعالى في هذا الكونِ؛ أي: مَن يَعقلُ ومَن لا يَعقلُ منَ المَخلوقات.

فإذا حملناهُ على المَجازِ خصَّصناهُ بالعقلاءِ منهم؛ إذ أراد الجُزءَ وذكرَ الكلَّ، والعلاقةُ الكلّيَّةُ، وإذا حملناهُ على الحقيقةِ - وهو الأولى بالمَقامِ - يكونُ المرادُ جميعَ المَخلوقاتِ؛ كالطّيرِ والشّجرِ والجبالِ، وعالَمِ الجنّ، ويُصدّقُ ذلك قولُه تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ﴾ [سبأ: 10]، وقولُه تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: 44]. وإنّما قلنا: إنّه أولَى بالمَقام؛ لبيان التَّفاوُتِ بين عمومِ العالَمينَ وخصوصِ المُشركينَ، فإنَّ البهائمَ والدّوابَّ والطّيورَ خيرٌ مِن أولئكَ الّذين رفضوا الإيمانَ بسببِ كفرِهم وعِنادِهم؛ ففيه معنَى التَّهكُّمِ بهِم.

(1) الخطّابيّ، بيان إعجاز القرآن، ص: 70.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/106.

تَوْجيهُ المتشابِهِ اللّفظيِّ:

الاتِّساقُ اللّفظيُّ سِمةٌ تعبيريّةٌ ومَلحظٌ بيانيٌّ

جاء التّعبيرُ عنِ الذّكرِ في قولِه تعالى: ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، وقولِه تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [ص: 86 - 87] بالتّذكير، لكنّنا نجدُ في قولِه تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: 90]، أنّه جاء بصيغةِ المؤنَّثِ ﴿ذِكْرَىٰ﴾ [الأنعام: 90].

والجوابُ: أنَّه في الأنعامِ تقدَّمَ قولُه تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: 68]، وقولُه تعالى: ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ [الأنعام: 69]، فكان لفظُ ﴿ذِكْرَىٰ﴾ [الأنعام: 90] بالتّأنيثِ أليقَ في قولِه تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: 90][1]، على خلافِ ما في سورتَيْ يوسفَ و ص.

فالذّكرُ مصدرٌ للفعل الثّلاثيّ (ذَكَرَ)، والذّكرى قد تكونُ اسمَ مصدرٍ لهذا الفعل الثّلاثيّ، وقد تكونُ اسمَ مصدرٍ للفعل الرّباعيّ (ذَكّر)، أو للخماسيّ (تذَكَّرَ)، وعلى هذا فتكونُ المبالغةُ في التّذكير قد وقعت في سورة الأنعامِ؛ لأنّه سبقَها قولُه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنعام: 68 - 69]، فسورةُ الأنعامِ قصدتْ إلى المبالغةِ في النّهيِ لا سيّما وقد نفتْ عنِ النّبيِّ ﷺ الحسابَ في الآيةِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيّةُ:

الأجرُ والأُجرَةُ والجزاءُ:

الجزاءُ يُستعمَلُ فيما كان عن عقدٍ وغيرِ عقدٍ، ويُقالُ في النّافِعِ

(1) الكرمانيّ، البرهان، ص: 64، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 1/194.

والضّارِّ، نحوَ قولِه تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ١٢﴾ [الإنسان: 12]، وقولِه تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النّساء: 93]. بينما الأجرةُ جزاءٌ في النّافع فحسب، أمّا الأجرُ فهو ثوابُ فعلٍ يكونُ مالًا أو غيرَه، وأجَرَ يأجُرُ أجرًا؛ أعطاهُ الشَّيءَ بأُجرَةٍ، وآجَرَ عمرو زيدًا: أعطاهُ الأجرةَ، قال تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ [القَصص: 27]، وآجَرَ كذلك، والفرقُ بينَهما أنّ أجَرتُه يُقالُ إذا اعتُبِرَ فِعلُ أحدِهما، وآجَرتُهُ يُقالُ إذا اعتُبِرَ فِعلاهُما، وكلاهما يَرجعانِ إلى مَعنًى واحدٍ، ويُقالُ: آجَرَهُ اللّه وأجَرَهُ اللّه. والاستِئجارُ: طَلبُ الشَّيءِ بالأُجرةِ، وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ [القَصص: 26].

الجـزاءُ عـامٌّ في النّافعِ والضّارِّ، والأجرُ خاصٌّ في النّافعِ

الأجرُ والثّوابُ:

الأجرُ يكونُ قبلَ الفعل المَأجورِ عليه، والشّاهدُ أنَّك تقولُ: (ما أعملُ حتّى آخذَ أجري)، ولا تقول: (لا أعملُ حتّى آخذَ ثوابي)؛ لأنَّ الثَّوابَ لا يكونُ إلّا بعد العملِ على ما ذكرْنا، هذا على أنَّ الأجرَ لا يُستحقُّ له إلّا بعد العملِ كالثَّواب، إلّا أنّ الاستعمالَ يجري بما ذكرناه، وكذلك فإنّ الثَّوابَ قد شُهِرَ في الجزاءِ على الحسناتِ، والأجرُ يُقالُ في هذا المعنى، ويُقال على معنى الأجرةِ الّتي هي من طريقِ المُثامَنةِ بأدنى الأثمان، وفيها معنى المُعاوضةِ بالانتفاع[1]، فيكونُ الأجرُ ماديًّا أو معنويًّا، أمّا الثّوابُ فيكونُ معنويًّا.

الأجـــرُ عـــامٌّ في الأثـــمـــانِ والـحـسـنـاتِ، والـثّـوابُ خـاصٌّ في الحسناتِ

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 17.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 23 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-20-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 23 : المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-20-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8086351 بتاريخ 2024/02/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»